



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: /...../.....

رقم التسجيل ط1: 161635102828

رقم التسجيل ط2: 161635102793

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان

التقديم والتأخير في القرآن الكريم

سورة النساء - أنموذجا-

إعداد الطالبتين:

- نجوى فقريش

- خولتة شريد

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسا

جامعة المسيلة

أستاذ

- د/ عبد العزيز بوشلاق

مشرفا ومقررا

جامعة المسيلة

أستاذ محاضر "أ"

- د/ ناصر محمد تيس

ممتحنا

جامعة المسيلة

أستاذ محاضر "أ"

- د/ بوديسة بولنوار

السنة الجامعية: 140-1441 هـ / 2020-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إهداء:

رغم أن الكلمات لا توفي التقدير والامتنان والشكر إلا اني سأثر كلماتي رياحين

وتقدير ووفاء أهدي ثمرة جهدي إلى:

من قال فيهما الرحمن "وبالوالدين إحساناً".

إلى من كان دعاؤهما سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى أعلى انسان في هذا

الوجود أُمي الحبيبة **"مليكة"**.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من عمل بكد فير سبيلي وعلمي معنى الكفاح

واوصلني إلى ما أنا عليه، إلى ابي العزيز **"مسعود"** حفظه الله.

إلى شقيقتي "نورة" وإلى حلاوة حياتي إخواني: **عبد الوهاب، سعد.**

إلى صديقاتي الغاليات ومؤسسات حياتي: **خولة، نظيرة، فطيمة، جهيدة، أمينة،**

امال، آسيا، شيماء.

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد، إلى

من ذكرهم القلب ونسبهم القلم.

نجوى



إهداء

كلمة لا بد منها...

هي كلمة أبت إلا الحضور... هي كلمة شكر لله عز وجل النبي وفقنا لإتمام هذه
المذكرة على أحسن الأحوال.

إلى المقي أوصانا بها نبينا صلوات الله وعليه ثلاثا، إلى المنبع الفيض بحنانه، نبع المحبة
والحنان والصبر والإقدام والدتي الكريمة "حكيمه" حفظها الله.

إلى مثلي الأعلى في التضحية والعطاء، إلى النبي دفعني إلى معترك الحياة بثقة واعتزاز
والدي الكريم "العربي" حفظه الله.

أطال الله في عمرهما وجعلني وفيه ومخلصة لهما.

إلى إخواني وأخواتي الذين نستظل بظلمهم حينما يشتد لهيب الحياة:

ناصر، أشرف، معتز، عبير، سعيدة.

وغلى كل من كانوا لي العون والسند في طيلة مشواري الدراسي الجامعي

صديقاتي الغاليات: **نجوى، نظيرة، فطيمة، جهيدة، أمينة، أمال،**

شهيره.

إلى أولئك جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

خولته



مَقَدِّمَةٌ

يعد القرآن الكريم بإعجازه البلاغي الملهم الأول لجميع الدراسات اللغوية والأدبية، وقد عمل القدماء والمحدثون على دراسته والخوض في مكوناته لمعرفة إعجازه، وأساره التي لا تنتهي أبداً، واللغة العربية التي شرفها القرآن الكريم بنزوله كانت وما تزال في محل الاهتمام باعتبارها لغة القرآن الكريم، فهي منظومة عرفية رمزية يعبر المرء بها عن أغراض نفسه، ويقرا فيها أمجاد السابقين وأفكار اللاحقين، فيرى طبائع المجتمعات وخصالها التي تتسم بها، فهي تعتبر من اللغات الإنسانية الراقية لدقة تعبيرها واتساع معانيها، ولما كان التقديم والتأخير في كلماتها من أهم ما يصيب التراكيب اللغوية، حيث يعد باب التقديم والتأخير جزء كبيراً من أجزاء علمي النحو والمعاني، وللتقديم والتأخير أسرار ودلالات خاصة في لغة القرآن الكريمه فانشغلنا في بحثنا على إظهارها ومعرفتها فكان موضوعنا لهذه المذكرة: جماليات التقديم والتأخير في القرآن الكريم - سورة النساء أنموذجاً، وقبل هذا يجب الإجابة على بعض التساؤلات إذا ماذا نعني بالتقديم والتأخير؟ وما هي أسبابه اللغوية؟ وأغراضه البلاغية الدلالية؟ وما هي أنواعه، وما هو الغرض من تقديم المسند وتأخير المسند إليه؟

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع "جماليات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، سورة النساء أنموذجاً، كان لإظهار وجه من وجوه الإعجاز الفني للقرآن الكريم، والوقوف على ما مدى التماسك الدلالي، فما قدمت فيها لفظة عن أخرى ولا آية عن آية أخرى إلا لحكمته بالغة ولغرض بلاغي لا يتصل إن هي أخرت عنها.

وقد كان هدفنا من هذا البحث هو الوقوف على أساليب التقديم والتأخير ومعرفة لطائفة واكتشاف أهم الدلالات التي ورد فيها تقديم وأو تأخير في سورة النساء.

تناول هذا الموضوع دراسات عديدة من بينها دراسات عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز في علم المعاني والبيان والبديع، وعلي أبو القاسم عون في كتابه بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، أساليب البلاغة للزمخشري، كتاب الله عز وجل، وغيرها كثير مما استفدنا منها في هذا البحث.



ولما كان لكل باحث منهجا متبعاً من خلاله يتناول قضاياها اللغوية، فقد رأينا ضرورة اختيار المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، وهذا المنهج من أبرز المناهج التي تقدم مادة كاملة منتظمة ومرتبطة، ذلك أن المنهج الوصفي التحليلي يتماشى مع الجانب التطبيقي لوصف الظواهر النحوية واستقراء الأبعاد الدلالية من حيث التقديم والتأخير في القرآن الكريم، وذلك من خلال فك وتحليل الجمل الاسمية والفعلية لنتمكن من معرفة مواطن التقديم والتأخير في السورة المدروسة.

ولبسّط هذا الموضوع انتهجنا الخطة التالية:

مقدمة للبحث وتليهاها بالفصل الأول بعنوانه: التقديم والتأخير، ويضم مفهوم التقديم والتأخير، أنواعه، وأسبابه ومظاهره.

وتطرقنا في الفصل الثاني إلى الجانب التطبيقي وذلك بغرض دراسة بلاغية للتقديم والتأخير في القرآن الكريم نماذج من سورة النساء.

وفي الختام تم ذكر أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث معتمدة في ذلك على عينة من المصادر والمراجع أهمها كتاب الله عز وجل (المصحف الشريف)، دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني.

ولكل الباحثين المبتدئين واجهتنا صعوبات في بحثنا هذا نذكر منها.

- ضيق الوقت.

- قلة المصادر والمراجع.

وفي الأخير نرى أنه من واجبنا أن نسدي الشكر إلى كل من يستحقه، فإننا نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في البحث أيا كان نوع المساعدة وأخص بالذكر الأستاذ "بايزيد مهديد"، كما نشكر أستاذنا المشرف "تيس ناصر" على ما قدمه إلينا من نصائح وإرشادات

الفصل الأول

التقديم والتأخير

أولاً - مفهوم التقديم والتأخير

ثانياً - دواعي التقديم والتأخير

ثالثاً - جهود النحويين في دراسة التقديم والتأخير

أولاً - مفهوم التقديم والتأخير:

1 - مفهوم التقديم:

- في اللغة:

عكس التأخير عن مصدر الفعل قدم ولقد وردت مادة "قدم" في معجم العين بمعانٍ متعددة منها: قوله القدس والقدم السابقة في الأمر كقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ أَنَّهُمْ أَنَّ أَنْزِلَ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صَنِقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة يونس، الآية 02]، أي سبق لهم عند الله خبر وللكافرين قدم شر، والقدم مصدر القديم من كل شيء ونقول: قدم يقدم وقدم فلان فوصل أي: لا يكون أمامهم، والتمن المحين تمام، ونقول: يمضي قدما ولا يستثني ورجل قدم مقتحم للأشياء، يتقدم الناس، ويمضي في الحرب قدما، ولم يأت في كلامهم مُقدم ومؤخر بالتخفيف إلا مُقدم العين ومؤخرها، وسائر الأشياء بالتشديد. (1)

وقال الزمخشري "قدم قومه يقدمهم، منه قادمة الرجل تفيض آخرته وأقدمته فتقدم وأقدم، ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، الإقدام في الحرب". (2)

قال عنتره:

ولقد شفي نفسي وأبرأ سقمه قبل الفوارس وبك عشر أقدم

- اصطلاحا:

التقديم أصل بعض العوامل والمعلومات ويكون طارشا في بعضها الآخر، فمهما يجب التقديم فيه وهو أصل الفعل مع الفاعل، والمبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به وبقية الفضلات والاستعمالات.

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق د مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د.ت، ص122، مادة قدم.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تحقيق محمد باسل عون السود، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص09.

وقد يطرأ لهذه الأمور من أسباب نحوية أو بلاغية أو عروضية مما يقتضي تأخيرها وتقديم ما هو مؤخر في الأصل، كتقديم المفعول به على الفاعل، والفعل لإدارة الحصر البلاغي نحو: "في المدرسة تلميذ" بتقديم الخبر على المبتدأ تجنباً لابتداء النكرة.

2- مفهوم التأخير في اللغة:

- في اللغة:

هو خلاف التقديم ومصدر الفعل أَّخَرَ، من أسماء الله الحسنى الآخر والمؤخر، فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كله وناطقه وصامته، والمؤخر هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها، وقد تأخر عند تأخر وتأخيرة واحدة... واستأخر لمتأخر، وفي التنزيل: ﴿وَلِكَلِمَةٍ أَوْ جَلٍ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية 34].

والمعنى نفسه نجده عند الخليل "والآخر والآخره نقيض المتقدم والمتقدمة والآخر الغائب، والآخر نقيض القدم، نقول مضى قدما وتأخر آخرا، ولقيته أخريا: أي أخريا".⁽¹⁾

- اصطلاحاً:

التأخير للاستعمال المحوي حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة وتوجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل، وذلك كالمبتدأ في الجملة فإن موضعه في أول الجملة وبدايتها نحو: الكتاب فوق الدرج"، فالكتاب هو المبتدأ في الجملة، وقد يكون التأخير واقعا للكلمة إبتداءً من دون طارئ، وهذا هو القصد وذلك كتأخير الخبر عن المبتدأ، والفاعل عن المفعول عنهما، الحال عن فعله وصاحبه، والتميز عن مميزه.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، د.ت، ص12، مادة "أخر".

ثانيا - دواعي التقديم والتأخير:

1- تقديم المسند إليه:

إنَّ مرتبة المسند إليه التقديم وذلك لأنَّ مدلوله الذي يخطر أولاً في الذهن لأنَّه المحكوم عليه سابق للحكم طبعاً، فلهذا تقدم وضعاً، وللتقديم أحوال أربعة:

1- ما يفيد زيادة المعنى على تحسين اللفظ وذلك هو الغاية القصوى، واليه المرجع في فنون البلاغة والكتاب الكريم.

2- ما يفيد في الزيادة في المعنى فقط.

3- ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس هذا الضرب شيء من الملاحظة.

4- ما يختل به المعنى ويضطرب. (1)

ولتقديمه (المسند إليه)، واعي شتى:

أ- تعجيل المسرة:

تعجيل المسرة للتفاؤل لأنَّ السامع إذا قرع سمعه في ابتداء الكلاء ما يشعره بالسرور هس وفرح به مثل: "العفو عنك، صدر به الأمر" وسبب هذا التقديم هو تعجيل المسرة وإدخال السرور على القلب.

ب- تعجيل المساءة:

وغرضه أن يجعل السامع يشده ويخيل إليه حصول شر ما فيستطير بما تلقى نحو: "القصاص حكم به القاضي"، وهنا قدم القصاص لتعجيل العقوبة والمساءة.

ج- التشويق إلى المتأخر:

إذا كان المتقدم شعراً بغرابة كقول المعري:

والذي حارث البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

(1) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبديع، ط1، 1999، ص123.

وهنا قدم المسند إليه (الذي) واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر وهي (حارث البرية فيه) فحيرة البرية أمر يشوق النفس إلى أن تعرف سبب هذه الحيرة التي هي الإلتلاف في إعادته للحضر، وهو يريد أن الخلائق تحيرت في الميعاد الجسماني.

د - النص على عموم السلب:

وهو تقديم أداة العموم على أداة النفي غير المعمولة للفعل المنفي فيتوجه الفعل إزاء أصل الفعل ويعم أصل فرد من أفراد ما أضيف إليه مثل: "كُلّ المحاولات لم تكن ناجحة"⁽¹⁾، وتقدير الكلام لم تكن كُـلّ المحاولات ناجحة، فتقدم (كُلّ) وحكمها التأخير.

ونحو "كُلّ ظالم لا يفلح" لا يفلح أحد من الظلمة، مع العلم أن عموم السلب يكون النفي فيه كُـلّ فرد وتوضيح ذلك أنك إذا بدأت بلفظة (كُلّ) فأنت قد بينت وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وذلك يقتضي إلا يشد عنه شيء.

هـ - سلب العموم:

يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو "لم يكن كُـلّ ذلك" أي لم يقع المجموع فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفي كُـلّ فرد، لأنّ النفي يوجب إلى الشمول دون أصل الفعل ويسمى: نفي الشمول.

وكما هو معلوم أن النفي في سلب العموم يكون للمجموع وفي اغلب الأحيان مثل:

قول المتنبي:

ما كُـلّ ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فالمعنى هنا أن الإنسان لا يدرك كُـلّ أمانيه وغنما هو يدرك بعضها ويفوت بعضها

الآخر. (2)

(1) أحمد سعدي، مفاتيح البلاغة، ص18.

(2) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار الآفاق العربيّة، ط1، القاهرة، 2000، ص45.

و - إفادة التخصيص قطعاً:

ويكون ذلك في ثلاثة مواضع:

- الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي نحو: "ما محمد فعل هذا".

- الثاني: أن يكون المسند معرفة مضمرة بعد نفي نحو: "ما أنا قلت ذلك".

- الثالث: أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي نحو: "ما تلميذ حفظ الدرس".⁽¹⁾

ولذا لا يصح أن يقال: "ما أنا قلت هذا" لا خيري لأن مفهوم ما قلت له مقول للغير

ومنطوق ولا غير كونه غير مقول للغير، فيحصل الناقص سلماً وإيجاباً.

وإذا لم يسبق المسند إليه ففي كان التقديم محتملاً وذلك في ستة مواضع:

- الأول: معرفة ظاهرة مثبتة نحو: محمد أمر بهذا.

- الثاني: معرفة مضمرة مثبتة نحو: أنا ما كتبت الدرس.

- الثالث: معرفة مضمرة مثبتة نحو: أنا حفظت الدرس.

- الرابع: نكرة مثبتة قبل نفي نحو: رجل ما قال هذا.

- الخامس: نكرة مثبتة قبل نفي نحو: رجل ما قال هذا.

- السادس: نكرة مثبتة نحو: تلميذ حضر اليوم في المدرسة.

هذا التخصيص المحكم به أو تقويته إن كان فعلاً نحو: "أنت لا تبخل - هو يهب

ألوف"، فإن في إسناد مرتين، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في المثال الأول وإسناد

الجملة إلى ضمير الغائب في المثال الثاني.

ز - كون المتقدم محط الإنكار والغرابة:

كقول الشاعر:

أبعد المشيب المنقضي في الذوائب تحاول وصل الغانيات الكواعب

والحق أن يقال:

تحاول وصل الغانيات الكواعب بعد المشيب المنقضي في الذوائب

(1) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، ط1، د.س، 1999، ص125.

فحصل هذا التقديم ليشير إلى إنكار المتكلم وغبابة الأمر في نفسه.

2- في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه إذا اقتضى المقام تقديم المسند كما سيجيء، ولا نلمس دواعي للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يسمح كليهما. (1)

3- في تقديم المسند أو تأخيره:

يقدم المسند إذا وجد باعث على تقديمه وأن يكون عاملاً نحو: "قام علي" ومما له الصدارة في الكلام نحو: "أين الطريق؟" أو إذا أريد به غرض من الأغراض التالية:

1- التخصيص بالمسند إليه:

يكون بتخصيص المسند إليه بشيء ما أو صفة ما، أي تتسبب إليه هذه الأخير دون غيره وجعله منفرداً بها دون سواه ومثال ذلك قولنا: "إياك نحترم وإياك نقدر"، فالمسند إليه هنا هو الله سبحانه وتعالى بالدرجة الأولى، ثم أناس آخريين هم محل الاحترام والتقدير أيضاً، ومن خلال هذا المثال خصصناهم احترامنا وتقديرنا.

2- التنبيه من ول الأمر على أنه خبر أو نعت:

كقول الشاعر:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرة أجل من الدهر

له راحة لو أن معيار جودتها على البر أندى من البحر

فلو قيل: (همم له) لتوهم ابتداء كون له صفة لما قبله.

3- التشويق:

وقد يقدم المسند تشويقاً لذكر المسند إليه، ولقد مر معنا من قبل أننا قدمنا المسند إليه تشويقاً لمعرفة المسند، وهنا مع العكس من ذلك ومنه قول "ابن وهب" يمدح المعتصم:

ثلاثة تشرق لدينا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

جاء بالمسند (الخبر) ثلاثة مقدماً لاشتماله على الوصف مشوقاً لذكر المسند إليه.

(1) أحمد هاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 126.

وكذا قول الشاعر:

وكما لدار الحياة فمن رماد وأخرها وأولها دخان

قدم المسند الخبر (كالدار) على المسند إليه (الحياة) لاشتماله على وصف مشوق

إلى المسند إليه⁽¹⁾، فالغرض من تقديم المسند هنا هو التشويق إلى المتأخر.

(1) عيسى علي الكالوب، المفصل في علوم البلاغة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، 2002، ص 205-

ثالثاً - جهود النحويين والبلاغيين في دراسة التقديم والتأخير:

أ- النحويين القدامى والمحدثين

1- النحويون القدامى:

تناول النحاة القدامى مسألة التقديم والتأخير، وارتأيت من خلال بحثي في هذا العنصر أن هناك عدة آراء نحو هذه الظاهرة وعلى رأسهم "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في حديثه عن التقديم والتأخير أن بعض حسن وبعضه قبيح دون أن يبين السر البلاغي في التقديم.

ففي كتاب "الابتداء" يستفتح الخليل القول: (قاعد زيد) إذا لم يجعل (قائماً) مقدماً، وهذا التقديم عربي جيد، وذلك كان أقوال: تميمي أنا، ويشرح السيرافي وصف الخليل وقوله: (قائم زيد) بالقبيح، بأنه إذا أراد أن يجعل (قائم) المبتدأ و(زيد) خبره أو فاعله، وليس بقبيح إذا جعل (قائم) خبراً مقدماً، النية فيه التأخير كما يقال: (ضرب زيدا عمراً) والنية تأخير زيد الذي هو المفعول، وتقديم عمر والذي هو الفاعل. (1)

فالتقديم عند الخليل يكون على نية التأخير، ويبقى على حكمه الذي كان عليه قبل أن يقدم، "فالخبر في (زيد) يظل خبراً إذا قلت (ضرب زيد عمرو) وهذا هو الشرط لحسن التقديم عند الخليل، وبغير مراعاة هذا الشرط يصبح الكلام قبيحاً، لأنه إما أن يؤدي إلى لبس، كما في تقديم المفعول حين أصبح فاعلاً، أو يؤدي إلى المحال كما في تقديم الخبر حيث يخبر عن النكرة بالمعرفة". (2)

أما سيبويه فإنه يلفت النظر إلى السر البلاغي في أثناء معالجة التقديم والتأخير في الكلام، ويشير إلى أهمية التقديم والتأخير ودوره في المعنى، إذا اتخذ من التقديم والتأخير، وعليه كل عناية والاهتمام يقول: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولنا ضرب زيد عبد الله لأننا غنما أردنا به مؤخرًا أما أردنا به مقدماً، ولم

(1) السيرافي، شرح الكتاب، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص278.

(2) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص09.

نرد أن نستغل الفاعل بأول منه وإن كان يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهو بيانه اعف، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم"⁽¹⁾، فمن شأن المفعول أن يتأخر عن الفاعل، ولكن إذا تقدم في ذلك لعله قصد إليها المتكلم وهي: العناية والاهتمام بشأنه.

وهذه العلة تنطبق أيضا على تقديم المفعول والفعل يقول: "وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربيا جيدا، وذلك قولك، زيد أضربت العناية والاهتمام مهنا في التقديم والتأخير سواء مثل في ضرب زيد عمرا وضرب عمر زيد".⁽²⁾

ويرى أن التقديم من الناحية البلاغية لغرض يقود المتحدث إلى بعض الظنون أما فيما يخص ما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ أو خبر نفس شيء في هذه الحالة لاسيما الفاعل، وفي حديثه عن التقديم في (إن) يقول: "واعلم أن التقديم والتأخير والعناية والاهتمام هاهنا مثله في باب كاذ ومثل ذلك قولك إن أسدا في الطريق رابض، وإن بالطريق أسد رابض، وإن شئت جعلت الطريق مستقرا وصفته بالرابض".⁽³⁾

رأيت أن التقديم والتأخير في (إن) أعطوه عناية واهتمام كما هو الحال بالنسبة لمكان وفي الظرف أيضا كما ذكر في الفاعل والمفعول.

ولقد أشار المبرد في كتابه (المقتضب) عن التقديم والتأخير، إذ يجيز التقديم والتأخير في الأفعال المتصرفة التي يمكن أن يتقدم مفعولها كما يجوز أيضا تقديم معمولها المنفي بها.

ويشير المبرد إلى تقديم الحال على صاحبها وعاملها، وورود أمثلة على ذلك في القرآن الكريم والشعر العربي، ويشترط لذلك تصرف الفعل "فإذا كان العامل في الحال فاعلا

(1) سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1998، ص34.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص41.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص285.

صلح تقديمها وتأخيرها، لتصرف العامل فيها فقلت: جاء زيد راكبا وراكبا جاء زيد وجاء راكبا زيد".⁽¹⁾

كما تحدث ابن جني في الخصائص عما يتفق مع قواعد النحو في التقديم والتأخير وما يختلف عنها مراعيًا صحة القياس أو ضعفه أو فساده وذهب إلى أن التقديم على ضربين: "أحدهما ما يقبله القياس والآخر ما يسهلها الاضطراب فالأول: كتقديم المفعول على الفاعل والفعل، وكذلك ظرف الزمان والمكان، والاستثناء يتقدم والاسم دون الفعل، ولا يجوز تقديم غائب الفاعل كما لا يجوز تقدم الفاعل على الفعل، كما لا يجوز تقديم العلة على الموصول، ولا التوابع كلها ما عدا عطف النسق وهو قليل، وهو الذي جوز التقديم في عطف النسق كما في قولك: قام وعمرو وزيد، أذّك أستعت في الكلام قبل الاستغلال، التمام، وبسبب قلته أنه ضعيف من جهة القياس لأنك إذا قلت: قام زيد وعمرو فقد جمعت أما الهبر عليهما معا، وإنما تقدم على أحدهما وهو المبتدأ، كما لا يجوز تقديم الصلة على زيد بين علمين أحدهما تام والآخر واو، كما لا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف ولا الجواب على المجاب سواء كان شرطًا أو قسما".⁽²⁾

بعدما انتهى ابن جني من الشرح والتفصيل وضع الأمثلة، والتعليل مما يستحق التعليلي يقول: "فهذه وجوه التقديم والتأخير في كلام العرب إن كنا تركنا منها شيئًا، فإنه معلوم والمحال ولاحق بما قدمناه".⁽³⁾

ثم وضع ابن جني أيضًا في كتابه "المحتسب" أهمية التقديم بلاغيا أهمية تقديم المفعول به عند ابن جني تظهر في ناحيتين الأولى: تقديم المفعول به، والثانية: حذف الفاعل وإسناد الفعل إلى المفعول به.⁽⁴⁾

(1) المبرد المقتضب، ج4، تحقيق محمد عبد الخالق فطيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، مصر، القاهرة، 1979، ص169-170.

(2) ابن جني، الخصائص، ج2، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986، ص390.

(3) المرجع نفسه، ص390.

(4) ينظر ابن جني (المحتسب)، ج1، تحقيق مصطفى الحلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص65.

ينتقد المفعول به على فعله في أربع حالات: في تقديمه على الفاعل تقوى العناية به، وتقديم الفعل المنصوب وفي تقديمه على الفعل المرفوع في هذه الحالة يصبح عمدة والحالة الأخيرة هي القوية والمفضلة ولها حالاتها بأن الحصيصة التي بعد المقدم تصبح مختصة به عند تخلو من الضمير.

وأجاز الزمخشري التقديم والتأخير خاصة تقديم الخبر على المبتدأ، في قوله: "ويجوز تقديم الخبر على المبتدأ كقولك: تميم أنا ومشنوء من يشنؤك، وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّوْثُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُوا إِلَّا اللَّهَ لِيِ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الجاثية، الآية 21] و﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية 06] المعنى (سواء عليهم) والإنذار وعدمه، وقد التزم تقديمه فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفا وذلك في قولك: في الدار رجل، وأما سلام عليك وويل لك، وخير بين يديك، وما أشبهها من الأدعية فمتروكة على حالها إذا كانت منصوبة منزلة الفعل".⁽¹⁾

رأيت أنه إذا كان المبتدأ خبرا والخبر ظرفا جائز تقديم الخبر على المبتدأ في هذه الحالة.

2- النحويون المحدثون:

لقد اهتم النحاة بظاهرة التقديم والتأخير، فالدكتور إبراهيم انيس لم يهتم بالنظم والاتساق في العبارة كثيرا ولا يلتفت إلى ما يريده المعنى ويهدف إليه، بل يلتفت إلى ما جاء في كتب النحاة مثل (ضرب زيدا عبد الله) فذهب في حديثه عن تأخير الفعل أنه "ليس يشفع في انحراف الفاعل عن موضعه ما ساقه سيبويه من حديثه عن العناية والاهتمام بالمتقدم، لأن كما قال الجرجاني: لا يذكر في ذلك مثالا، وكذلك لا يشفع في هذا الانحراف فلسفة عبد القاهر، حيث أراد توضيح معنى الاهتمام بعبارة المشهورة: (قتل الخارجي زيد)... فما

⁽¹⁾ الزمخشري، الموصل في صنعة الإعراب، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 2000، ط1، ص13.

قاله النحاة من جواز تقدم المفعول على فاعله حين يؤمن اللبس لا مبرر له من أساليب صحيحة، ولا يعدو أن يكون رخصة من بها علينا النحاة دون حاجة ملحة اليها، غير أن قد نقبلها في الشعر لأنّ للشعر أسلوبه الخاص".⁽¹⁾

فالتقديم والتأخير عند إبراهيم أنيس لا يكون لأمر متعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم، أما في التقديم في مثل الآيات القرآنية التالية: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** [سورة الفاتحة، الآية 05] ﴿ **فِي أَيِّ فَاغْبُونِ** ﴾ [سورة العنكبوت، الآية 56] ﴿ **خُنُوهُ** ﴾ **فَعَلُوهُ** (30) **ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ** (31) [سورة الحاقة، الآية 30-31] ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** (9) **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** (10) ﴾ [سورة الضحى، الآية 09-10]، فالأمر لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية فهي إذا أشبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص.⁽²⁾

ويرى الدكتور تمام حسان أن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه، أي أنها دراسة تتم في نطاقين احدهما مجال حرية الرتبة غير المحفوظة وتجنب الحديث في الرتب المحفوظة فهي قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها، ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي أن يتقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان على المبين، والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه، والتوكيد عن المؤكد، والبذل عن المبدل، والتمييز عن الفعل ونحوه، وصدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام والعرض والتخصيص، وتقدم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف، وأداة الاستثناء على المستثنى، وحرف القسم على المقسم به، واو المعية على المفعول معه، والمضاف على المضاف اليه، والفعل على الفاعل، أو نائب الفاعل، وفعل الشرط على جوابه، ومن الرتب غير المحفوظة رتبة المبتدأ والخبر ورتبة

(1) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، د.ت، ص225-226.

(2) المرجع نفسه، ص333.

الفاعل، والمفعول به، ورتبة الضمير، والمرج، ورتبة الفاعل، والتمييز، ورتبة الحال والفعل المتصرف ورتبة المفعول به والفعل. (1)

وقد وافق تما حسان بعض النحاة في أنّ اللّغة قد تنحرف عن القاعدة الأصلية لأنّ اللبس وهو ما يسمى "بالعدل عن الأصل" فالقاعدة الأصلية مثلا تجعل المبتدأ متقدما على الخبر ولكن يحدث أحيانا أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على لفظ يشتمل عليه الخبر، فلو استصحب هذا الأصل لعاد ضمير على متأخر لفظا ورتبة ولأدى ذلك إلى اللبس، عندئذ يعدل عن هذا الأصل إلى القاعدة الفرعية وهي قاعدة تقديم الخبر والأصل فيه أن يكون معرفة ومن شأن تعريف المبتدأ أو تتكبير الخبر أن يعين على تعيين كلّ منها فيؤدي إلى اللبس، ولكن إذا امن اللبس بدون تعريف المبتدأ جاز الابتداء بالنكرة، ونشأت قاعدة فرعية لذلك تحدد الحالات التي يؤمن فيها اللبس وتتحقق الفائدة. (2)

كما لاحظت أن شوقي ضيف قد بين العلة في انفتاح الأبواب الواسعة للتقديم والتأخير في النشأة العربيّة الشعرية، فذلك تلبية لحاجات النغم في الأبيات، مما يضطر الشاعر في كثير من الأحيان لمخالفة الترتيب النحوي للعبارة، إذا المهم عنده الترتيب النغمي حتّى لا يختل هذا الترتيب، فالتقديم والتأخير بين الكلمات في الشعر العربي جائز باستثناء التقديم والتأخير بين المضاف والمضاف إليه، وبين المتبوع والتابع نعتا وغير نعت. (3)

ولم يتجاوز إبراهيم صالح خلفات في حديثه عن التربة في اللّغة العربيّة وما ذكره القدامى، فهو يرى أن مواقع الأبواب النحوية داخل الجملة، وهذه الأبواب قد تلتزم بمواقعها داخل الجملة (الرتبة الثانية)، وقد تنتقل من موقع إلى آخر تقديمًا وتأخير الرتبة المستقلة (4)،

(1) حسان تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1979، ص207.

(2) ينظر: حسان تمام، الأصول، المغرب، الدار البيضاء، 1981، ص145.

(3) ينظر: ضيف شوقي، تيسير النحو العلمي قديم وحديثا مع نهج تجديده، دار المعرفة، القاهرة، د.ت، ص189-190.

(4) ينظر: خلفات إبراهيم صالح، الرتبة النحوية في الجملة العربيّة المعاصرة، ط1، د.ن، 2002، ص16.

والذي يسمح بانتقال الكلمات وتغيير ترتيبها في الجملة هو ظهور علامات الإعراب التي تحدد للكلمة وخلفتها. (1)

وأشار إلى وجوب التقديم في بعض المواضع، فالألفاظ تكون مرتبة داخل الجمل، ولكي تؤدي وظائفها بالشكل الصحيح، ولكي تتحقق الإفادة في الجملة فيأتي الفاعل بعد الفعل والمفعول به بعد الفاعل والخبر بعد المبتدأ والمجرور بعد حرف الجر والصفة بعد الموصوف... الخ، ولكن يحصل أحيانا تبادل في المواضع الكلمات فتحل كل كلمة مكان الأخرى تقديما وتأخيرا، فيتقدم المفعول به على الفعل، وعلى الفاعل، أو يتقدم الخبر على المبتدأ، إذا كان من الأدوات التي لها الصدارة أو كان المبتدأ نكرة. (2)

ولعل هذه بعض الجهود التي تناولت التقديم عند العلماء المحدثين ولست أريد أن استقصي هذه الدراسات رغبة في الاختصار وإنما تسليط الضوء على التفاوت بين التفكير النحوي في التقديم والتأخير، وتوجيه لدى القدامى والمحدثين ولكيفية تحليل المحدثين لما انتهى إليه القدامى من قواعد تنظم آليات التركيب اللغوية وأنماطه مما استقرأوه من لغة العرب.

ب - البلاغيون القدامى والمحدثين:

1 / البلاغيون القدامى:

ولقد أشار إلى ذلك البلاغيون إلى البحث عن التقديم والتأخير وأسرارها البلاغية البيانية، فركزوا على دلالات التراكيب وبيان أثر ذلك في المعنى، فربطوا تحول عناصر الجملة التركيبية عن موضعها بالدلالة فتوجهت جهودهم نحو استقصاء الدلالات والمعاني لا تأخير القواعد وتأصيلها.

فابن سنان الخافجي لم ينظر إلى التقديم والتأخير نظرة شاملة فحسب وإنما ذكره في نطاق ضيق عندما كان يتحدث عن شروط خاصة بالتأليف منها: وضع الألفاظ في وضعها

(1) المرجع نفسه، ص 17.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

حقيقة أو مجازاً يقول: "ومن وضع الألفاظ موضعها إلا يكون في الكلام تقديم أو تأخير، حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع أو سلوك الضروريات حتى يفصل فيه ما يقبح فصله في لغة بالعرب كالصلة والموصول وما أشبههما".⁽¹⁾

رأيت أنه إذا كانت الألفاظ في مكانها بلا يكون هناك تقديم وتأخير حتى لا يحدث خلل في معنى الجملة.

ويبدو أن بعد القاهر الجرجاني أدرك تركيز النحاة على جانب التقديم والتأخير دون العناية الكافية بالمعنى المترتب على ذلك، وأفرد فصلاً للتقديم والتأخير في كتابه (دلائل الإعجاز) وظف فيه ارتباط علم المعاني بعلم النحو، إذ يرى أن التركيب النحوي الصحيح وهو الذي يأتي بوظائف مختلفة فليس النظم عنده: "إلا أن تضع علامات الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي سميت لك فلا تخل منها بشيء".⁽²⁾

ولقد لاحظ عبد القاهر أن النحويين لا يتغلغلون إلى معرفة دقائق الكلام، والفروق بين التراكيب ووجوه الاختلاف بينها في درس التقديم والتأخير يقول: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً -يجري مجرى الأصل- غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول، وكأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم بشأنه أعلى وإن كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم".⁽³⁾

والتقديم عند الجرجاني نوعان: "تقديم على نية التأخير، وذلك كخبر داء قدم عليهن والمفعول به إذا قدم على الفاعل، وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن ينقل الشيء من حال إلى آخر وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل أن يكون لكل منهما مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتق

(1) الخافجي ابن سنان، سر الفصاحة، مطبعة محمد علي صبح وأولاده، ميدان الأزهر، ط1، 1969، ص101.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1، 1983، ص61.

(3) المصدر نفسه، ص97.

دم مرة هذا على ذلك وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد المنطلق حيث نقول مرة: (زيد المنطلق) وأخرى (المنطلق زيد) فقد تَغَوَّ حكم الإعراب وتغير المعنى أيضا".⁽¹⁾

وأشار ابن الأثير إلى ضربين من التقديم والتأخير، الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ولو آخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى، وهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ، والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ، فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ فمنه تقديم المفعول على الفعل نحو: محمدا ضربت، وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه، نحو: قائم زيد، والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له في ذلك، ولو أخر لما تَغَوَّ المعنى.⁽²⁾

ويشير القزويني في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) إلى الأسباب البلاغية لتقديم المسند وهي إما التخصيص بالمسند إليه كقولك (قائم هو) لمن يقول: زيد ما قائم أو قاعد، فيرده بين القيام والعود من غير أن يخصه بأحدهما قولهم، تميمي إنا، وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله تعالى: ﴿فَازْلِمُوا الشَّيْطَانَ عَنَّا فَأَخْرِجْهُ مَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة البقرة، الآية 36] وأما للتشويق إلى ذكر المسند إليه.⁽³⁾

يقسم السكاكي التقديم للعناية إلى قسمين: أحدهما أن يكون الأصل ما قدم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كالمبتدأ المعروف فإن أصله التقديم على الخبر نحو: (زيد عارف) وكذلك المعروف فإن أصله التقديم على الحال، نحو: (جاء زيد راكبا) والعامل فإن أصله التقديم على مفعوله نحو (عرف زيد عمرا، وكان زيد عارفاً وإن زيد عارف).

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 97.

(2) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1995، ج 2، ص 35.

(3) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989، ص 193.

وثانيهما أن تكون العناية بتقديمه، والاعتناء بشأنه لكونه، في نفسه نصب عينك، والتفات خاطرِك إليه في التزايد، كما نجدك قد نسيت، يهجر حبيبك، وقيل لك: ما تتمنى؟ تقول: وجه الحبيب أتمنى، أو لعارض يورثه ذلك كما إذا توهمت أن مخاطبك ملتفت خاطر إليك، ينتظر أن تذكره فيبرز في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضي ساعة فساعة فمتى تجد له مجالاً للذكر صالحاً أو ردتاً⁽¹⁾، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمَسَلِينَ﴾ [سورة يس، الآية 20]، قدم فيه المجرور لاشتمال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسل من إصرارهم على تكذيبهم فكان مظنة أن يلعن السامع تلك القرية.

2- البلاغيون المحدثون:

تحدث البلاغيون المحدثون عن التقديم والتأخير، فعبد العزيز عشيق سليم بأن "الكلام يتألف من كلمات وأجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة من أجل ذلك كما لا بد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضها الآخر، وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقديم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام.⁽²⁾ ولتوضيح ذلك نشير إلى أنه يرى أن تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباراً في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكن عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها وبناء على ذلك لا يكون هناك مبرر لاختصاص كل من المسند إليه والمسند بدواع خاصة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر، لأنه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر فهما مثلاً زمان".⁽³⁾

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989، ص 210.

(2) ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية وعلم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص 148.

(3) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية وعلم المعاني، ص 149.

ومقولة التقديم عند محمد عبد المطلب قد تكون خالصة للبعد المعنوي، وأن المسند إليه محكوم عليه ابدا والمحكوم عليه متقدم في الذهن على المحكوم به، ومقولة التقديم لا تكتسب حقيقتها الخالصة إذا كان المسند إليه فاعلا، لأن موضعه الدائم هو التأخير عن الفعل، ومن ثم تنصرف مقولة التقديم إلى المبتدأ لأن رتبته (غير المحفوظة) هي التقديم.⁽¹⁾

ويرى أحمد المطلب أن التقديم والتأخير يقع في الجملة، والجملة أصغر وحدة يتم بها معنى الكلام، ولا بد من أن يكون فيها مسند ومسند إليه أيك فعل وفاعل، أو مبتدأ أو خبر⁽²⁾ وذهب إلى أن تقديم الفعل أو تأخيره في الجملة ليس مسألة إعراب واختلاف فيه، وإنما يرجع ذلك إلى المعنى، فهو الذي يحدد تركيب الجملة ويوجب البدء بالفعل أو الاسم.⁽³⁾

وقد أشار محمود أحمد نحلة في هذه المسألة مسألة الرتبة ويرى أن للكلمات في الجمل رتبة مرعية وترتبا خاصا، قد يكون اختياريا كالتقديم والخبر وهذا النوع من الترتيب الاختياري وثيق الصلة بالبلاغة والمفاضة بين الأساليب، ويشير إلى أن هناك أصلا لترتيب الكلمات في اللغة والخروج عن هذا الأصل يكون تحقيقا لهدف بلاغي، ويرى أن أصل الترتيب لا يرد خلوا من معنى زائد على الأصل، الوضع بل يكون في اللجوء إليه، أحيانا نكتة بلاغية يدركها من كان له معرفة بالأساليب العربية.⁽⁴⁾

ورتبة المسند إليه عند أحمد مصطفى المراغي التقديم، لأنه المحكوم عليه ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به وما عداها فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لهما في الرتبة.

وتطرق إلى أحوال التقدم وهي عنده أربعة:

1- ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ.

2- ما يفيد زيادة المعنى.

(1) ينظر: عبد المطلب محمد، في البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1997، ص235-236.

(2) ينظر: أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989، ص38.

(3) المرجع نفسه، ص43.

(4) ينظر: محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية وعلم المعاني، دار العلوم العربية، ط1، لبنان، 1990، ص190.

3- ما يفيد في التقديم والتأخير .

4- ما يخل به المعنى ويضطرب وذلك هو التعقيد اللفظي أو المعاطلة تقدمت لتقديم

الصفة على الموصوف والصلة على الموصول ونحو ذلك.⁽¹⁾

وقد أشار رجاء عيد إلى مسالة التقديم والتأخير بلاغيا وهو يجيز تقديم الفاعل على

الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، ولكن ينسب إلى الخطوة التي تكمن في تحديد أسباب

التقديم، إذ يرى أن الجملة قد تخرج عن نمطها التركيبي المعروف لغرض فني فيتقدم الفاعل

على فعله، ويتقدم الخبر على مبتدأه، ولكن الخطورة تكمن في تحديد أسباب التقديم وتقنيها

في نماذج لا تخدم تماما وجهة نظر البلاغيين⁽²⁾، وحاول إرجاع التقديم والتأخير إلى نفسية

الأديب، وهذه النفسية المتشابكة مع حسه الشعوري واللاشعوري، هي التي تتدخل في

التركيب اللغوي للعبارة.⁽³⁾

(1) ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة والبيان وعلم المعاني والبديع، دن، د.ت، ص92.

(2) ينظر: رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص74.

(3) المرجع نفسه، ص79.

الفصل الثاني

تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

أولاً - التقديم والتأخير بين جزأي لجملة

ثانياً - الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

لا يسعني في هذا الموضوع بعد الاطلاع على روائعه إلا أن أقول كما قال شيخ البلاغة وإمامها: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد للغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك سمعه ويلطف لذلك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن ما كان إلى ما كان".⁽¹⁾

أحس عبد القاهر كما أحس الجميع أن التقديم والتأخير ميزة فريدة ترفع درجات الكلام إلى منابر البلاغة ومنصات الإعجاز والغرض منه زيادة الإيمان واليقين، ومن أحسن من الله قبيلاً؟!

أولاً - التقديم والتأخير بين جزأي الجملة:

والتقديم بين جزأي الجملة يشمل تقديم المبتدأ على الخبر⁽²⁾ سواء كان الخبر فعلاً أو في قوة الفعل، كما يشمل تقديم الخبر على المبتدأ سواء كان مفرداً أو شبه جملة.

أ - تقديم المسند له على المسند:

لاحظ البلاغيون أن تقديم المبتدأ على الخبر يكون لعدة أغراض بلاغية وذلك تبعاً لأحوال المبتدأ أو أنواع الخبر.

ومن أهم تلك الأغراض التشويق، التعميم، الاختصاص، وقد تتفرع عنها أغراض أخرى خاصة بكل موقف.

1 - التشويق:

وهو تلهف المتلقي لسماع الخبر، وجاء موضحاً في سورة النساء قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّارَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية 10].

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

(2) ينظر: دكتور محمد أبي موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 325-326.

إنّ تقديم المسند إليه (الذين) المؤكدة بأداة التأكيد (إنّ) مع جملة الصلة المشيرة إلى وضع (قد سبق للسامع العلم به) ⁽¹⁾، ومما تحمله الجملة من خصائص لفظية دقيقة في (يأكلون) وكذا (ظلمًا)، إن هذه المقدمات أجبت في نفس المتلقي لهفة ملحة لمعرفة الخبر (المسند) لأنه يحمل حكما إلهيا في حق هذه الفئة، فجاء الخبر صورة من أدق الصور لإبراز هذا الاكل بأبشع ما يكون عليه الظلم.

ثم لا يخفى ما تحمله الآية من جملة مؤثرات أولها حرف التوكيد (إنّ) واسمية الجملة وتكرار الفاعل بإعادته في ضمير المتصل في (يأكلون)، فكان للتقديم مزية التشويق والتأكيد معا.

ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية 97].

فالمسند إليه المقدم المؤكد بأن هو (الذين) وخبره اسم الإشارة (فأولئك) وكل ما بين الاسم والخبر من جملة الصلة (توفاهم) الجملة الحالية (ظالمي انفسهم) الحكاية عنهم في الحوار الدائر بينهم وبين الملائكة، كل ذلك زاد التشويق إلى معرفة الحكم الذي يحمله في حقهم فجاء الخبر ليروي صدى المتعطش لمعرفته وتكون الحكاية كلها موعظة وعبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد.

2- التخصيص:

أوضح له البلاغيون مطلبين يجب توافرها في الجملة الخبرية: ⁽²⁾

- الأول: أن يسبق المسند إليه بنفي.

- الثاني: أن يكون الخبر فعلا ⁽³⁾، أو ما هو في قوة الفعل. ⁽⁴⁾

فاذا توافر هذان الشرطان في الجملة الخبرية مكان التقديم التخصيص لا محالة.

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص200.

(2) ينظر: العكبري، البيان في إعراب القرآن، ج1، ص384؛ روح المعاني، ج5، ص167.

(3) هذا مذهب الشيخ عبد القاهر في (دلائل الإعجاز)، ص124.

(4) هذا مذهب الزمخشري في الاعتماد على تفسيره لآيات القرآن الكريم وتأمله هذا المعنى فيها، انظر تفسيره، ج2،

ص231 وما بعدها.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَغِيزٍ ﴾ [سورة هود، الآية 91]، حكاية على لسان قوم شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، والتخصيص في هذا الأسلوب يعني نفي الخبر عن المسند إليه وإثباته لغيره. (1)

وكأن المتكلم يرمي بهذا هدفين: أولهما أن ينفي الخبر عن المسند إليه، وثانيهما أن يثبت لغيره عن طريق التتوية لا التصريح، وهذا ما فهمه النبي الله شعيب من قول قومه (وما أنت علينا بعيز) لذا رد عليهم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهِيَ اعْزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاعَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [سورة هود، الآية 92]، مدلا على ما جاء به هو من عند الله لا ماء فيه.

ومما جاء في التخصيص في سورة النساء قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَبُوتُونَ وَهُمْ كُهَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية 18].

بدأت الآية الكريمة بأداة النفي لتوضيح أنه (لا يكون تائبا من لم يتب إلا مع حضور الموت)، فهذه لا تسمى توبة عند الله سبحانه وإن جدو في طلبها، وكذلك من مات على حال كفره وإن تقانى أهله في الاستغفار له، وقد ذيلت الآية ببرهان ناصع في نفي هذه التوبة قال تعالى: (أولئك اعتدنا لهم عذابا ألما).

اذن حسمت توبة هذا الصنف بعدم القبول دون سائر أنواعها وهذا هو معنى التخصيص في الحكم.

(1) ينظر: الإيضاح، ص33 وما بعدها، وكاشح التلخيص، ج1، ص396.

3- تقوية الحكم:

عندما يختل شرط من الشرطين المحققين للتخصيص يكون الغرض البلاغي من تقديم المسند إليه غالباً تقوية الإسناد، ومن بين الصور التي تقيّد ذلك نذكر:

أ- أن يتقدم المسند إليه على النفي ومثال ذلك في سورة النساء قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظَالِمُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 40] وذلك أقوى وأبلغ من أن يقال لا يظلم الله مثقال ذرة لضاع التأكيد بأن التأكيد باسمية الجملة والتأكيد في التخصيص فقد تظافر السياق على الدلالة بأن الله وحده هو الذي لا يقع منه جنس الظلم ولا أقل القليل منه سبحانه جل شأنه.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا يُؤْنِ ذُنُوبَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية 116].

في هذه الصورة من الظلم تقدم المسند إليه (الله) على حرف النفي (لا) فاكسب هذا الأسلوب بهذا قدراً كبيراً من القوة والتأكيد والتنبيه على جدية الموقف وعدم المهادنة فيه، كما نلمح هنا معنى التخصيص بجانب تقوية الحكم، وذلك لتفرده سبحانه بهذا العمل، حسب عدله ومشيبته.

ومنه قوله تعالى: ..

هذا المقطع تذييل الآية حملت أهم أمر نزل به القرآن وكذا عدة أمور لا يمكن صلاح المؤمن إلا بها ﴿وَأَعْبُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالنِّسْبَةِ وَالْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ نَبِي الْقُرْبَى بِي وَالْجَارِ الْجَبِّ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ [سورة النساء، الآية 36]

أمر شتى كلها تصور معنى الخضوع والإحسان وليس الجانب فلا مرأى في أن تذييلاً بهذه الجملة التي يتقدم فيها المسند إليه (الله) على حرف النفي ليجلب معه جملة مؤكدة لتقوية حكم الإسناد.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

ب- من صور تقوية الحكم الخبر مثبتا مع تقديم المسند إليه ومجيء المسند فعلا أو في قوة الفعل.

وسر تأكيد الحدث وتقوية الحكم يعود إلى حالة نفسية وذهنية شرحها الإمام عبد القاهر قائلا: "فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم المعرى من العوامل إلا بحديث قد قوي إسناده إليه، وإذا كان كذلك، فإذا قلت: "عبد الله"، فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا حسن بالحديث فقلت مثلا: "قام" أو قلت: "خرج"، أو قلت: "قدم" فقد علم ما جئت به وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المهياً له، الملمس إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته، وأنفى للشبهة، وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق"⁽¹⁾، وفي هذا تقوية للحكم التي يسند إلى هذا الاسم المسند إليه، ثم إنه ينقسم في سورة النساء إلى قسمين:

1- كون الجملة حالية:

وقد وردت الجملة الحالية المبتدئة باسم في ستة مواضع من سورة النساء، واتسمت جميعها بطابع الإثبات كون المسند إليه ضميرا والمسند مشتقا إلا واحدة كان المسند جارا ومجرورا ولكن يؤول بفعل، أو بمشتق⁽²⁾، ففي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا ﴾ [سورة النساء، الآية 43].

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 132.

(2) ينظر: شرح ابن حنبل، ج 1، ص 197.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

الجملة الحالية (أولئك) أكدت النهي عن قرب الصلاة وهم على تلك الحال، لما فيه التأخر والعقل والمشاعر لأن السكر علة بخلق العقل⁽¹⁾ وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في الإسلام.

وسكران جمع تكسير سكران زنة فعلان صفة مشبهة باسم الفاعل، ولهذا فهي في قوة الفعل.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْلَمِ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ نَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلُّونَ نَقِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية 124]

وكذا قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ بِنَاءِ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية 125]

وكذلك قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاعُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية 142]

فالجمل الحالية (وهو مؤمن)، (وهو محسن)، (وهو خادعهم) جميعها بدأت بالضمير الذي هو مبتدأ (مسند إليه) وآخر فيها المسند إشعارا بتقوية الحكم وعمق الصلة بين جزأها: المسند إليه وتأكيدا للحدث الذي أتت فيه الجملة حالا.

2- ومن أمثلة تقوية الحكم التي تعود إلى الحالة النفسية والذهنية أيضا - وهي متعددة في هذه السورة المباركة - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 27].

المسند إليه المقدم في جملة (والله يريد أن يتوب عليكم) أفاد بلا شك تأكيد السابقة واللاحقة في: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وِجْرَانَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، الآية 28]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي يَكْتُمُونَ وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَآئِينَ بِعِلْمِهِ لَبِيبِينَ﴾ [سورة النساء، الآية 26]، بل حتى تكلمة الآية نفسها عند بيان إرادة متبوعي الشهوات (ويريد الذين يتبعون الشهوات).

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص269.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

جميعها تقدم فيها المسند إليه، والغرض من المخالفة في (والله يريد) يكمن في نوعية الحدث الفعلي لأن إرادة التوبة عمل خاص به سبحانه.

إذن تقديم المسند إليه أفاد تقوية الحكم لا محالة مع خصوصية الحدث لله سبحانه وتعالى، وهذا ما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر رحمه الله، وهو ليس كذلك بالنسبة للسكاكي لأنه اشترط إفادة الاختصاص أمرين:

- أحدهما أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرًا، بأن يكون فاعلا في المعنى فقطن كقولك: (أنا قمت) فإنه يجوز أن تقدر أصله: (قمت أنا)، على أن (أنا) تأكيد للفاعل، الذي هو التاء في (قمت) فقدم (أنا) وجعل مبتدأ.

- وثانيهما أن يقدر كونه كذلك⁽¹⁾ أي يعتبر بصحة تقديره⁽²⁾، وأوضح ذلك الخطيب بقوله: فإن انتفى الثاني دون الأول، كالمثال المذكور إذا جرى على الظاهر - وهو أن يقدر الكلام مبنيًا على المبتدأ والخبر - ولم يقدر تقديم أو تأخير، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسما ظاهرا فإنه لا يفيد إلا تقوية الحكم⁽³⁾ دون التخصيص.

وأكد السكاكي صراحة في موضع آخر بقوله: (حق المعرف حمله على وجه تقوية الحكم وحق المنكر حمله على وجه التخصيص).⁽⁴⁾

مع أن نظر الجملة بهذا التركيب: (الله يريد أن يتوب عليكم) يفيد التأكيد باسمية الجملة وبدأها بلفظ الجلالة - وهو محور الحديث - وبتكرار الفاعل.

ونم هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي نِيَامِ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكُحُوهُنَّ

وَالْمُسْتَضَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِنِيَامِي بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ

(1) ينظر، الإيضاح، ص 66.

(2) ينظر: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني ضمن (شرح التلخيص)، ج 2، ص 407.

(3) ينظر: الإيضاح، ص 66.

(4) ينظر: المفتاح، ص 107.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

عَظِيمًا ﴿ [سورة النساء، الآية 127] قدم المسند في (الله) ثم التعميم هذا الإفتاء عن غيره بحيث أن المسند أمر تحيرت فيه عقول القوم وهو أصل الإسلام ويعلمون بإسلامهم. إن الجاهلية جددت النساء أبسط حقوقهن، ومع ما أفاده تقديم لفظ الجلالة من تقوية حكم الإسناد حمل الأسلوب معنى الوجد والبشرى المستمرين بدليل الفعل المضارع منبها للمسلمين على وجوب العودة إلى كتاب الله في الأحكام التي جاءت في شأنهن، فتكون المسلمة في حماية دائمة من ظلم الرجل لضعفها أمامه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاعُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية 142].

فقد تغلب تصوير الموقف تأكيد نسبة الخداع (هؤلاء المنافقين لتأصيل هذه الصفة في نفوسهم، فقدم المسند إليه المؤكدة بأداة التأكيد ليدل دلالة قوية على ذلك، وبهذا كان جزأؤهم من جنس العمل وبأسلوب مماثل) (1)، وفي قوله تعالى: (وهو خادعهم) واستحقوا سوء المصير الموضح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية 145] بصورة مشابهة أيضا في تقوية الحكم.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية 166].

تقدم المسند إليه في (الله يشهد) وكذا (الملائكة يشهدون) لنفس الغرض السابق، كما يدل هذا الموضع على التخصيص أيضا دون قيد النفي وهو كثيرا جدا في سورة النساء وفي القرآن بشكل عام.

اسمع معي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتُونُوا الْكَافِرِينَ أُوْلِيَاءَ مِنْ نُورِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتُونَهُمْ عِنْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء، الآية 139]، ألا تشعر أن بها مع تقوية الحاسم تخصيص هذا الأمر له وحده جل شأنه. (2)

(1) ينظر: البحر المحيط، ج3، ص359.

(2) ينظر: مختصر السعد ضمن (شروح التلخيص)، ج1، ص321، وكذا المنهاج الواضح لحامد عوني، ج2، ص57.

وكذل قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقُومُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ بِاللهِ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء، الآية 140].

وكذا قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء، الآية 141].

وقوله: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا ﴾ [سورة النساء، الآية 163].

أمور دالة على تفرد الله ﷻ بها وحده، فثبتت بذلك الحكم للمسند إليه وينتقي عن غيره.

هناك غرض وحيدا اتفق عليه البلاغيون بالنسبة لتقديم المسند إليه النكرة وهو التخصيص لا غير، فأمثلته في سورة النساء محدودة جدا منها قوله: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزواجكم إن لم يكن لهنَّ ولد فإن كان لهنَّ ولد فلكنَّ الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهنَّ الرُّبُعُ مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهنَّ الثلث مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحدٍ منها السُّدُسُ فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير ضارٍ وصية من الله والله عليمٌ ﴾ [سورة النساء، الآية 12].

جاء المسند إليه (رجل) نكرة مقدمة على المسند (كلالة) لإرادة تخصيصه بحالة الحكم الذي يحمله المسند، وقيد بحالة مخصوصة، والتقييد هنا يخص كل الجنس، أي رجل من

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

جنس الرجال مات وهو يتصف بهذا الوضع الأسري⁽¹⁾، أو أي امرأة من جنس النساء كذلك.⁽²⁾

وقد اضطرت هذه الصورة من التخصيص في اسم (لا) التي تنفي الجنس في سورة النساء المباركة من مثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُ مَن رَضَعْتُم مِّن الرِّضَاعِ وَوَرِيثَاتُ مَن رَضَعْتُم مِّن الرِّضَاعِ وَإِخْوَانُ مَن رَضَعْتُم مِّن الرِّضَاعِ وَأَخَوَاتُهُمْ ذَلِكُمْ وَاللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي نَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا بَنَاتَكُم فَإِخْوَانُكُمْ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 23].

وقوله أيضا: ﴿وَالْمُصَنَّفَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُصْنِنِينَ غَيْرِ مَسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَوَاضَعْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَظِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 24].

وقوله أيضا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ عَن ذُنُوبِهِمْ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِاللَّهِ عَن قَوْلِهِ لَوِ اتَّخَذَ النَّاسُ حِزْبًا لَّحِزْبًا لَّخَسِرُوا أَكْبَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة النساء، الآية 102].

جميع هذه المواضع اتى فيها المسند إليه نكرة، وقد يعود إلى أصل لغوي حيث يشترط لصحة معنى النفي بهذه الأداة دخولها على نكرة ولكن مع هذا فقد أدت معنى التخصيص في كافة المواضع السابقة.

ب- تقديم المسند على المسند إليه:

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (طلل).

(2) ينظر: أبي المسعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص492.

1- تخصيصه بالمسند إليه على سبيل الإثبات:

كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ بَيْتُكُمْ وَلِيَّيْنِ﴾ [سورة الكافرون، الآية 06]، قدم المسند (لك) ليفيد تخصيصه بالمسند إليه⁽¹⁾ (دينكم) وقصره عليه، أي إثبات المسند إليه للمسند خاصة لا يتعداه إلى غيره، وهذا لأن الجملة مثبتة.

ويمثل هذا اللون في سورة النساء آيات كثيرة منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِرِجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِنِسَاءٍ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُتَيْبٍ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 32].
فكان تقديم المسند (الرجال) على المسند إليه (نصيب) لإثبات هذا النصيب للرجال خاصة، ثم نصيب للنساء خاصة.

وقد تقدم الخبر (المسند) على المسند إليه أيضا بغرض خصيص المسند بالمسند إليه على سبيل الإثبات في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية 55].

فقد خصص المولى أسلاف اليهود بالانقسام والتذبذب ونعى على أخلاقهم هذا لأنهم على نهج أسلافهم سائرون تبخيسا لهم ومنقصة وتوعدا بسوء المصير⁽²⁾ بدليل آخر الآية.
وعلى نقيضه معنويا جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُخَلِّمُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلٌّ كَثِيرٌ﴾ [سورة النساء، الآية 57].

ومن أوضح ما يمثل الاختصاص في الإثبات قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُتَيْبٍ مُحِيطًا﴾ [سورة النساء، الآية 126].

(1) ينظر: مفتاح العلوم، ص 105.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ج 5، ص 89.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

فقد خصص سبحانه نفسه وحده دون سواه بهذا الملك والملكوت في السموات والأرض ساعد على توضيح هذه الصورة من الاختصاص تقديم المسند على المسند اليه، وأمثلة هذا كثير في سورة النساء.

ثم أنه لا يقتصر على الجملة الاسمية بل قد يعطي تقديم المسند الفعلي ذلك أيضا وأظهر أغراض التخصيص للتشريف وذلك مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 158].

فأتى تخصيص عيسى عليه السلام بالرفع الحاصل من المولى عز وجل بلفظ الجلالة تكريما له وتشريفا وردا على من أنكر هذا.

2- تخصيصه بالمسند إليه على سبيل النفي:

أما إذا كانت الجملة منفية فيكون المعنى نفي المسند عن المسند إليه خاصة وإثباته لغيره مثل قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ [سورة الصافات، الآية 47]، حيث نفى الغول عن خمر الجنة خاصة وأثبته لسواها من الخمر ولهذا لم يقدم المسند في (لا ريب) أي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية 2] لباقي الكتب المنزلة من عند الله غير القرآن. (1)

ومثاله في سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَرَبٍ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَتَلَ رِبِيرَ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ سَيِّئِينَ مِيثَاقُ فِئَةٍ مَدَّ لَمَّةً إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 92]

فقد نفى المولى عن المؤمن خاصة قتل أخيه المؤمن عمدا لأنه ما يوجب غضب الله والمؤمل عن المؤمن من تحاشيه عن ذلك والنفور منه.

(1) ينظر: شروح التلخيص، ج2، ص109 وما بعدها.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة النساء، الآية 8].

قدم المفعول به هنا (القسمة) لفرط العناية به لأنها المبحوث عنها، ولن في الفاعل تعدادا، فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب أطراف الكلام⁽¹⁾، وقيل: قدمت القسمة لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما أنها أمامهم في الواقع.⁽²⁾

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَبُوتُونَ وَهُمْ كَمَا رَأَوْكَ أَتَيْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 18].

قدم المفعول به (أحدهم) إمعانا في التهويل والشذب لهذا المتهاون العنيد في أمر التوبة حتى وصل به الحال إلى حياض الموت، فصور التقديم السابق العنيد بين الانسان والموت، لذا قدم المفعول على الفاعل، ومن تقديم المفعول به قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَقَفَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 95]، فكلمة (كلا) مفعول أول بـ(وعد) مقدم عليه، و(الحسنى) مفعول ثانٍ.⁽³⁾

وسر تقديمه ما تحمله لفظة (كل) في هذا المقام من البشرى لكافة المؤمنين بما فيهم إرادة العموم، لأنهم فسروا الحسنى بالجنة وقد وعد بها المؤمنون كافة.⁽⁴⁾

كما يقدم المفعول قدم الحال مثل قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 165].

(1) ينظر: تفسير أبي مسعود، ج1، ص487.

(2) ينظر: روح المعاني، ج4، ص212.

(3) البيان في إعراب القرآن، ج1، ص383، وكذا الدرر المصون، ج2، ص417.

(4) ينظر: الوجيز، ج2، ص98.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

(رسلا) حال موطنة لما بعدها⁽¹⁾، نسبها على عظم مكانتهم وما حملوا به من قبل الله، لأن إرسالهم من قبله تعالى حجة دامغة لكافة الناس وهداية لهم إلى الطريق المستقيم.

وقد يقدم الظرف أيضا مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ سَوَىٰ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَيْثُ﴾ [سورة النساء، الآية 42].

قال العكبري⁽²⁾ فيها: أو الأصل في هذا: وهي ظرف زمان ماض فقد استعملت هنا للمستقبل وهو كثير في القرآن، فزادوا عليها التتوين عوضا من الجملة المحذوفة، تقديره: يومئذ تأتي بالشهداء، وحركة الدال بالكسر لسكونها وسكون التتوين بعدها، وغرضه البلاغي الاهتمام بهذا اليوم شديد البأس.

ومن تقديم الجار والمجرور على عامل قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَانُوا حَرْمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية 160].

قدم هنا الجار والمجرور (يظلم) للتبنيه من أول الآية على سبب ذلك التحريم الذي لم يفرضه الله عليهم منذ البداية، وبأنها فرض عليهم لتعسفهم.

وقد تتقدم المعمولات بعضها على بعض وهو كثير في السورة، وأهم الأغراض لذلك التقديم: شدة تعلق هذا المقدم بالحدث وكذا للفت الانتباه إليه وحصر الاهتمام به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّمَةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء، الآية 41).

في هذا المقطع من الآية عدة معلولات، منها كلمة (شهِيدًا) والواقعة حالا، وكان حقها أن تلي الفعل مباشرة، إلا أننا نرى الجار والمجرور (ب) وكذا (على هؤلاء) قدم عليها، وذلك لما في هذا المقطع من مؤثرات نفسية داعبت خواطر النبي - ﷺ - حتى أوصلته إلى البكاء.

ومنها هو منه بسبيل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَسَّبُوا كِبَارًا مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُخَلًّا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 31].

(1) ينظر: البيان في إعراب القرآن، ج1، ص410.

(2) ينظر: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج3، ص184.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

وقوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَدَّ لَطْمَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقاتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية 90].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُوَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُرِكهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 100].

وتقديم المعمولات في هذه المواضع مع صافيه من معنى الاختصاص إلا أنه يلح لكل موضوع منهم خصوصية تميزه عن غيره، ففي قوله تعالى: (لنكفرن عنكم سيئاتكم) قدم الجار والمجرور (عنك) على المفعول به (سيئاتكم) تعجيباً في إيصال البشري التي يحملها الفعل (نكفر).

أما في قوله تعالى (فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) فتعلو مع الاختصاص نبرة الجد والتأكيد للفت الانتباه على ما تقدم من الجار والمجرور.

وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى (تجد في الأرض مراغم) على المفعول (مراغماً) لما تطلبه نفس المهاجر من الاستقرار إلى الأرض أم الانسان.
ومثل هذه المواضع كثيرة في هذه السورة المباركة مما لا يتسع المقام لذكرها جميعاً.

من حيث الحذف:

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: (فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أحسب به موضعه، وحذف في حال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به).⁽¹⁾

1- حذف المسند إليه:

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

على الرغم من تأصل المسند إليه في عملية الإسناد الخبري وشدة حاجة الجملة اليهن إلا أننا نجد في بعض الأحيان زائداً عن حاجة المعنى لوجود قرينة حالية أو لفظية تدل عليه، ولأنه لم يحذف إلا ليحقق أهدافاً بلاغية تتناسب مع السياق.

أ - حذف المبتدأ الواقع في جملة جواب الشرط:

ومثاله في سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَبِيَّةٍ سَلْمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَسَوْا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَكْفُرُونَ فَإِنَّهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ سَلْمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 92].

فقوله تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) جملة واقعة في جواب (من) الشرطية، والمسند إليه فيها محذوف، أي: الواجب عليه تحرير رقبة⁽¹⁾.

وقد تكرر هذا في الآية، ومثله (فصيام شهرين) ويحسن تقدير المبتدأ المحذوف بقولنا: فكفارته أو فحقه أو فالواجب عليه لاسيما عند كثير من العلماء.

والغرض البلاغي من حذف المسند إليه فهو تهذيب وتأديب وصلاح للفرد والجماعة.

ب - كما حذف المسند إليه عند وقوعه مبتدأ في جملة القول:

ومثال ذلك من سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَاَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية 81].

ف (طاعة) خبر لمبتدأ محذوف أي: أمرنا طاعة⁽²⁾، وفي حذفه دلالة خفية على أحوال القوم النفسية.

(1) ينظر: الكعبري، البيان في إعراب القرآن، ص 380.

(2) ينظر: البيان في إعراب القرآن، ص 380، وكذا الوجيز لابن عذبة، ج 2، ص 82 وما بعدها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي بَيْتِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة النساء، الآية 171].

المحذوف مقدم ب: إلهنا ثلاثة أو الإله ثلاثة⁽¹⁾، فالحذف هنا يصور حالة الشك والريبة التي تتغلغل في نفوس هؤلاء الظالمين، هذا الشك دعاهم إلى الجملة لعدم الجرأة على تأكدها، وذلك بين مقارنتها بقوله تعالى (إنما الله اله واحد) حيث الحق الواضح الذي يعلو ولا يعلى عليه.

ج- وقد يحذف المسند إليه إذا كان مبتدأ في غير ذلك:

مثل قوله تعالى ﴿ مِمَّنْ نَّأْتِيهِمْ آيَاتُنَا وَمِمَّنْ لَا يُلْقِيهَا إِلَّا كِبْرًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ سَآئِرُ آيَاتِنَا إِذْ هُمْ يُنذَرُونَ ﴾ [سورة النساء، الآية 46].

كلام مستأنف على أحد التقديرات⁽²⁾، إذ أن الجار والمجرور (من الذين) واقع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: أقوم من الذين هادوا، دل على هذا المبتدأ الجملة الواقعة صفة له (يحرزون)، وحذف المبتدأ في مثل هذا شائع في كلام العرب اجتزاء بالصفة عن الموصوف، إذا كان المبتدأ موصوفا بجملة أو بظرف أو كان المبتدأ بعض اسم مجرور (من) وذلك الاسم متقدم على المبتدأ.

2- حذف المسند:

يحذف المسند إذا كان هو الحكم في الجملة الخبرية طلبا لرفعة الكلام وعلو شأنه في بعض الأحيان، ودواعي حذفه كثيرة في سورة النساء المباركة، فمن ذلك:

(1) ينظر: البيان في إعراب القرآن، ج1، ص412، وكذا الدرر المصون، ج2، ص478.

(2) ينظر: الكشاف، ج1، ص27، وكذا التحرير والتتوير للظاهر بن عاشور، ج5، ص74.

١- الاختصاص:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْدِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية 128].

(امرأة) فاعل لفعل محذوف دل عليه ما بعده، أي: إن خافت امرأة خافت، وتحليل ذلك أن الكلام مركب من جملتين فعليتين حذف من كل منها جزء، فالجملة الأولى حذف فعلها لدلالة ما بعده عليه، والجملة الثانية من (خافت) حذف فاعلها لدلالة ما سبق عليه، وهذا فيه من تقوية الحكم وتأكيد ما لا لا يخفى على متأمل، فقد ذكر علماء النحو أن هناك أدوات لا تدخل إلا على الجمل الفعلية⁽¹⁾ من بينها (إن) الشرطية ودخولها على الاسم يعني إرادة التأكيد بتكرار المعنى بجملتين متتاليتين.

ب- الحذف لدلالة السياق:

قد يحذف لدلالة السياق عليه دون قياس معين في النحو، ومن أمثله في سورة النساء قوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية 24].

الذي دل على المسند المحذوف نصب كلمة (كتاب) فاعمل نصب لها غير موجود في السياق ولتقديره وجهان.

الأول أن كلمة (كتاب) مصدر مؤكد من غير لفظ الفعل، لأن قوله بم حرصت عليكم يدل على معنى الكتب، فالتقدير: كتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله، ومجيء المصدر من غير لفظ الفعل كثير نظيره قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا ﴾

(1) ينظر: شرح ابن عقيل، ج1، ص430 وما بعدها.

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

جَامِدَةٌ وَهِيَ **يَتُرَمَّرُ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَقْعُونَ** ﴿سورة النمل، الآية 88﴾. (1)

الثاني يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون (عليكم) مفسراً له فيكون المعنى (ألزموا كتاب الله)، ولا شك أن حذف المسند هنا أحدث قدراً أكبر من اللفت والتنبية إلى هذا المنصوب لتعدد فيه الآراء والتقديرية لأن فيه من توسيع المعنى وإنجاز اللفظ ما لا يخفى.

ومنه كثير في هذه السورة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَعْ مِّنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّا مَنَعْتُمْ غَيْرَ مَسَافِحَاتٍ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَافِرَاتِ وَالَّذِينَ يَرْبُوا ذُرِّيَّتَهُنَّ فَالَّذِينَ آتَوْهُنَّ مِنْكُمْ فَمِثْلَ مَا أَنْكَرْتُمُوهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِيمَانَ أَزْوَاجًا وَلَوْلَا إِذْ بَعَثْنَا لَبِئْسَ الْأَوَّلُ الْمُطَّوِّعُونَ﴾ [سورة النساء، الآية 25].

المسند المحذوف فعل الأمر (فانكحوا) ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، وقد سوغ حذفه دلالة السياق عليه، وربما أن الهدف البلاغي من حذفه تفادي صيغة الأمر حتى لا يفهم من الإلزام فالقضية قضية إباحة فقط. (2)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّبْيَانِ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء، الآية 69]، أي: ويطع الرسول.

(1) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ج1، ص42، وكذا البيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، ج1، ص346، والآية 88 من سورة النمل.

(2) ينظر: تفسير الرازي، ج1، ص60.

الفصل الثاني: تجليات التقدير والتأخير في سورة النساء

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِنَ وَاللَّهُ أُرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أْتِيْدُونَ أَنْ تَهْتُوا مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية 88].

فنتين نصب على حال⁽¹⁾ بتقدير ما لكم تفرقون في أمور المنافقين، فنتين، وحذف المسند (تفرقون) تحاشيا من أن يسند الافتراق إلى صحابة رسول الله ﷺ إجلالا لهم. ومنه قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 92].

في نصب كلمة (توبة)⁽²⁾ أي اقصدا بها أو اطلبوا بها توبة من الله.

ثانيا - الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه والمسند:

أ - الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه:

أ - يذكر المسند إليه لأنه الأصل في الكلام، ولا مقتضى للعدول عنه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلرَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية 11]، فهي جملة مستأنفة البيان والتفصيل لقوله تعالى: ﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [سورة النساء، الآية 7].

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري، ج1، ص287.

(2) ينظر: الدرر المصون، ج2، ص23.

فالمسند إليه (الله) أصل لا يمكن الاستغناء عنه، لأن التركيب الصحيح للجملة يطلبه، كما أن التركيب المعنوي يطلبه، فعندما يسند هذا الأمر لاسم الجليل لا يسع المؤمنين إلا التسليم التام وإن جاهدوا بذلك طبائعهم.

ب- تخصيص المسند إليه بالمسند: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية 17].

موضع الشاهد (فأولئك يتوب الله عليهم)، فقد ميز هذا الفريق المشار إليه بالمسند إليه (أولئك) عن باقي التائبين بقبول توبتهم (فالمعنى هؤلاء هم الذين جعلهم الله مستحقين قبول التوبة منهم)⁽¹⁾، إذ خصص المسند إليه بالحكم الذي يحمله المسند، أي جعل الحكم في المسند خاصا بالمسند إليه ليميزه عن غيره، ويتضح هذا التخصيص أكثر عند حذف المسند لتكون الجملة: ثم يتوبون من قريب فيتوب الله عليهم، فعند مقارنتها بالأصل نشعر أن وجود المسند إليه قام بدور التخصيص على أكمل وجه.

ج- ذكر المسند إليه للتعظيم: لتعظيم المسند إليه خاصة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْعُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [سورة النساء، الآية 103].

إذا كان العلماء قد اشترطوا في ذكر المسند إليه لغرض بلاغي صحة الجملة بعد حذفه فهذه الآية تمثل ذلك، حيث يمكن أن يكون السياق: فأقيموا الصلاة لأنها كانت على المؤمنين...، أو فهي على المؤمنين أو نحو ذلك، ولكن الأسلوب القرآني أثر الصلاة للمرة الثالثة في جملة اسمية مؤكدة قال فيها المفسرون أن الأولى في صلاة الخوف والمرض، والثانية في صلاة الأمن والاستقرار⁽²⁾، أما الثالثة فذكرت تعظيما لشأنها وتأكيدا على أهميتها وأهمية الالتزام بتلك المواقيت التي جعلها الله لها.

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ج4، ص280.

(2) ينظر: تفسير روح المعاني، ج5، ص138، وكذا تعلم الدرر، للبقاعي، ج5، ص324، أو أي تفسير شئت.

تعظيم المسند إليه تعظيماً للمسند:

ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [سورة النساء الآية 58].

أفلا تشعر أن شأن المسند، هو الأمر قد عظم بعظمة المسند إليه، فأمر منه سبحانه لا بد أن يكون عظيماً.

ومثل قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَقَدْ أُنزِلَ فِي الْأَمْثَلِ إِذَا مَرُّهُ هَكَذَا لَيْسَ لَهُ وَدٌّ لَهُ وَأُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَدٌّ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ [سورة النساء الآية 176].

فذكر المسند إليه أضيف مزيداً من التعظيم على المسند (بِئْسَ) لأن ذلك التبيين لا بد أن يكون أعظم نبين.

هـ- ذكر المسند إليه للتحقير:

ومن أمثله في سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَبِينُهُمْ وَمَا يَعِدُّمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [سورة النساء الآية 120].

فذكر الشيطان هنا مع إمكان الاستغناء عنه بالضمير لوجوده في الآية التي قبلها ﴿وَلَا ضَلِيلٌ لَهُمْ وَلَا يَلْمُهُمْ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلُوبُهُمْ مُّصَفًّى بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [سورة النساء الآية 119].

بل بدأت الآية موضع الدراسة بضميره في "يَعِدُّهُمْ وَيَبِينُهُمْ" ولأنه تحقير له لعنه الله، ولوعده ولمن اغتروا بهذا الوعد ذكر المسند إليه هنا صراحة لأن الشيطان يحمل اسم المذمة. ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَاؤُهُم جَهَنَّمُ لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾ [سورة النساء الآية 121].

الفصل الثاني: تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

إشارة إلى من اتخذ الشيطان من دون الله وليا باعتبار معناه، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الخسران⁽¹⁾، فهم بعداء من كل خير وهذا كافي لتحقيرهم.

و- ذكر المسند إليه لتبرك:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَدِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية 45].

أي إذا اضمر إليكم الأعداء السوء فهو وليكم يهديكم ويتولى أموركم شأن الولي مع مولاه⁽²⁾، فإعادة المسند إليه وتكراره بهذه الطريقة وفي المقام ما هو إلا تبرك به لنصرة على الأعداء.

ب- الأغراض البلاغية لذكر المسند:

يذكر المسند لأغراض بلاغية كثيرة منها ما يتفق فيها مع المسند إليه ومنها ما يخصه وحده ومن بين الأغراض التي يشترك فيها مع المسند إليه ما يلي:

أ- أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا يُؤْنِ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية 48].

على الرغم من إعادة الفعل (يفغر) إلا أنه لا يمكن العدول عنه إلى شيء آخر والسبب حاجة المعنى إلى (التفرقة بين الشرك وما دونه بان الله لا يغفر الأول البتة ويغفر الثاني لمن يشاء)⁽³⁾ فاختلاف الحكمين في أمر من أهم الأمور العقدية أدى إلى ذكر المسند الثاني ب- يذكر المسند لاختصاصه بالمسند إليه:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء الآية 60].

(1) ينظر: الألويسي شهاب الدين سيد محمود أفندي، روح المعاني في تفسير الكتاب العظيم والسبع المثاني في طبعة جديدة ومنقحة، ج5، دار الفكر بيروت لبنان، 1978، ص151.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، دار الفرقان، عمان الأردن، ط1، ص73.

(3) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، دار الفرقان، عمان الأردن، ط1، ص73.

المسند المذكور لعرض التخصيص انزل في قوله تعالى (ما أنزل من قبلك) لقد كان يغنى السياق ذكر فعل واحد ليكون (ما أنزل إليك من قبلك) ولكن شتان بين هذا وذاك واحسب أن ذكره لاختلاف المنزل فما انزل إليك أي: القرآن الكريم، ما أنزل من قبل أي الى موسى عليه السلام فهو التوراة⁽¹⁾ وكل منها مختص بنبي وان كان مصدرهما واحد.

ج- يذكر المسند تنبيه على اختلاف الموقف:

مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء الآية 76].

المسند المذكور بلاغيا إعادة الفعل (يقاتلون) لبيان دافع كل قتال منها ونكره كذلك ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَدِيًّا﴾ [سورة النساء الآية 154].

المسند المقصود (قلنا) وتكراره كما هو واضح لاختلاف زمن وموقف القول أو لتعداد مواطن عصيانهم، وهي: (رفع الطور والأمر بقتال أهل أريحا ن ودخولهم بابها سجدا وتحريم صيد البحر عليهم في السبت⁽²⁾ أو أنها مواقف مختلفة في أزمنة مختلفة وربما لجيل مختلف⁽³⁾

(1) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج5، ص67، وكذا ينظر، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج2، ص381.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص17-18.

(3) ينظر، ابن عذبة، المحرر الوجيز، ج2، ص73.

خاتمة

في هذا البحث تناولنا بالدراسة تحليل كنزا من كنوز البيان وفنا من فنون البلاغة ألا وهو التقديم والتأخير، ومظاهر الإعجاز البياني بالكشف عن الأثر البلاغي والمعنى الإعجازي للتقديم والتأخير، وذلك من خلال توضيح قواعده وأحكامه في العربية وإبراز لطائفه وأسراره في القرآن الكريم، ويكمن جمال ما ظهر لي من نتائج فيما يلي:

1- أثبت البحث أن لأسلوب التقديم والتأخير سمة التغلغل والانتشار في كافة سياقات القرآن، وكان له دور بارز في آيات الأحكام وأساليب الحوار لا يقل بحال عن دوره في الآيات المكية وما حملته من مشاهد القصص أو الآخرة.

2- تمكن البحث من تلخيص مصطلح "التقديم والتأخير" في تعريفين، الأول باعتبار الإعجاز وهو أن التقديم والتأخير تصرف في العبارة بالنقل بين مكوناتها لاعتبارات بلاغية، والآخر باعتبار البحث وهو أنه دراسة الحركة الانتقالية للعنصر الكلامي في العبارة لرصد أحكامها وكشف أسرارها.

3- أثبت البحث أن التقديم والتأخير مبحث بلاغي أوردت ظلاله في الدرس البلاغي وتفتحت أزهاره وأنعت ثماره في رحاب القرآن الكريم، حيث كان الشاهد القرآني هو المثل الأعلى في تحقيق ضروب التقديم والتأخير وتقرير أغراضه البلاغية، وذلك لأن الآيات القرآنية هي المنبت الخصب والموطن الرحب الذي وجد فيه هذا الأسلوب بيانا صادقا لقيمه وتطبيقا لحقيقته، فالتقديم والتأخير أسلوب عربي، اعترف له كلام العرب الفصيح وشعرها البليغ بنسبه العربي وصدق القرآن على أصالة هذا النسب.

4- فن التقديم والتأخير يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار في لغة القرآن الكريم لا يدركها إلا أصحاب البصائر المنيرة والأذواق السليمة.

5- استطاع أسلوب التقديم أن يخاطب العقل والوجدان في آن واحد، وكان له القدرة على حمل السامع أو القارئ على المشاركة في تفعيل الموقف القرآني وما يثبته من معانٍ وآداب رقيقة، فنشط الخيال وحرك الأذهان والعقول.

6- بيان لما تركزت فيه أهمية "التقديم والتأخير" ودلالته العربية هو بيان مرونة العربية ودقة التعبير فيها والتمكن من الفصاحة وقوة الأسلوب وجمال الصياغة، واعتمادات سياقاته على اعتبارات تتصل بالتركيب والخطاب.

7- قد يكون للتقديم والتأخير في آية واحدة أغراض بلاغية متعددة مثل توافق الفواصل ومراعاة ما قبله.

8- يرجع الفضل في وضع قواعد هذا الفن واكتشاف معظم أسراره إلى شيخ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر الجرجاني.

9- اهتم التقديم والتأخير في البلاغة بالمعنى الإضافي الإبداعي وبالتالي هو انتهاك للرتب وذلك بتحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى، وهذا الانتهاك يضيف على الدلالة طبيعة جمالية.

10- إن دراسة هذا الفن والإمام بقواعده ودقائقه من أقوى الرسائل إلى معرفة سر الإعجاز في القرآن الكريم، وبهذا عجز خصوم القرآن على مواجهته وتحديه، وسيبقى مدى ما بقيت الحياة معجز الإنسان والجن على أن يأتوا بمثله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَعِدَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.



قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المراجع:

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، د.ت.
- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1995.
- ابن جني (المحتسب)، تحقيق مصطفى الحلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج1، القاهرة، مصر، د.ت.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ط3، مصر، 1986.
- ابن عاشور الطاهر، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج5، تونس، د.ت.
- ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، د.ت.
- أبي البقاء العكبري، البيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار عيسى البابي الحلبي، 1976.
- أبي المسعود، إرشاد العقل السليم، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، بيروت، لبنان، د.ت.
- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة والبيان وعلم المعاني والبديع، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت.
- أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار القار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989.
- أحمد هاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.
- الألوسي، تفسير روح المعاني، طبعة جديدة ومنقحة، ج5، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.
- حسان تمام، الأصول، المغرب، الدار البيضاء، 1981.
- حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1979.

- الخافجي ابن سنان، سر الفصاحة، مطبعة محمد علي صباح وأولاده، ميدان الأزهر، ط1، 1969.
- الخلفات إبراهيم صالح، الرتبة النحوية في الجملة العربيّة المعاصرة، ط1، دن، 2002.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق د مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- الذهبي، تهذيب سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة، ج3، مصر، ط2، 1992.
- رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشئة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
- الروازي، التفسير الكبير للرازي، دار احياء التراث، ج1، بيروت، لبنان، د.ت.
- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تحقيق محمد باسل عون السود، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، بيروت، لبنان، 1998.
- الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
- الزمخشري، الموصل في صنعة الإعراب، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 2000.
- سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1998.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، د.س، 1999.
- السيرافي، شرح الكتاب، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2008.
- شهاب الدين أبو العباس بن يوسف الحلبي، الدرر المصون، تح: علي محمد معوض وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994.
- ضيف شوقي، تيسير النحو العلمي قديم وحديثاً مع نهج تجديده، دار المعرفة، القاهرة، د.ت.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار الآفاق العربيّة، ط1، القاهرة، 2000، ص45.
- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة وعلم المعاني، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1984.

- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1، 1983.
- عبد المطب محمد، في البلاغة العربيّة قراءات أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1997.
- عيسى علي الكالوب، المفصل في علوم البلاغة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، 2002.
- القاضي ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هندراوي، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999.
- الماعوني حماد، المنهاج الواضح، مكتبة الجامعة الأزهرية، ج2، القاهرة، مصر، د.ت.
- المبرد، المقتضب، ج4، تحقيق محمد عبد الخالق فطيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، مصر، القاهرة، 1979.
- محمد أبي موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ط2، مكتبة وهب، القاهرة، مصر، د.ت.
- محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربيّة وعلم المعاني، دار العلوم العربيّة، ط1، لبنان، 1990.

ملحق

ملحق:

بين يدي السورة:

سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة، وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وهي تعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة، والبيت، والأسرة، والدولة، والمجتمع، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء ولهذا سميت "سورة النساء".

تحدثت السورة الكريمة عن حقوق النساء والأيتام - وبخاصة اليتيمات - في حجور الأولياء الأوصياء، فقررت حقوقهن في الميراث والكسب والزواج، واستتقدتهن من عسف الجاهلية وتقاليدها الظالمة المهينة.

وتعرضت لموضوع المرأة فصانت لسانها، وحفظت آياتها، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها كمالهم، والميراث، وإحسان العشرة.

كما تعرضت بالتفصيل إلى "أحكام المواريث" على الوجه الدقيق العادل الذي يكفل العدالة ويحقق المساواة، وتحدثت عن المحرمات من النساء بالنسب والرضاع والمصاهرة. وتناولت السورة الكريمة تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها ليست علاقة جسد وإنما علاقة إنسانية، وأن المهر ليس أجراً أو ثمناً وإنما هو عطاء يوثق المحبة، ويديم العشرة، ويربط القلوب.

ثم تناولت حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها الرجل لإصلاح الحياة الزوجية عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين، وبينت معنى "قوامة الرجل" بأنها ليست قوامة استعباد وتسخير وإنما هي قوامة نصح وتأديب كالتي تكون بين الراعي ورعيته.

ثم انتقلت من دائرة الأسرة إلى "دائرة المجتمع" فأمرت بالإحسان في كل شيء، وبينت أن أساس الإحسان التكافل والتراحم والتناصح والتسامح والأمانة والعدل، حتى يكون المجتمع راسخ البنيان قوي الأركان.

ومن الإصلاح الداخلي انتقلت الآيات إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقرارها وهدوءها، فأمرت بأخذ العدة لمكافحة الأعداء.

ثم وضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى المحايدة والمعادية، واستتبع الأمر بالجهاد جملة منظمة على المنافقين، فهي ثابتة السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها، وقد تحدثت السورة الكريمة عن مكائدهم وحضورهم.

كما نبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود وموقفهم من رسل الله الكرام.

ثم ختمت السورة الكريمة ببيان ضلالات النصارى في أمر المسيح عيسى ابن مريم حيث غالوا فيه حتى عبدوه ثم صلبوه مع اعتقادهم بألوهيته، واخترعوا فكرة التثليث فأصبحوا كالمشركين الوثنيين، وقد دعته الآيات إلى الرجوع عن تلك الضلالات إلى العقيدة السمحة الصافية، عقيدة التوحيد وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ النساء، الآية 171.

أصل التسمية:

سميت سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن بدرجة لم توجد في غيرها من السور، ولذلك أطلق عليها "سورة النساء الكبرى" في مقابلة "سورة النساء الصغرى" التي عرفت في القرآن بسورة الطلاق.

فهرس المحتويات

شكر وعران

الإهداء

مقدمة..... أ-ب

الفصل الأول

التقديم والتأخير

أولاً - مفهوم التقديم والتأخير 04

1 - مفهوم التقديم 04

2 - مفهوم التأخير في اللغة 05

ثانياً - دواعي التقديم والتأخير 06

1 - تقديم المسند إليه 06

2 - في تأخير المسند إليه 09

3 - في تقديم المسند أو تأخيره 09

ثالثاً - جهود النحويين والبلاغيين في دراسة التقديم والتأخير 11

أ - النحويين القدامى والمحدثين 11

ب - البلاغيون القدامى والمحدثين 17

الفصل الثاني

تجليات التقديم والتأخير في سورة النساء

أولاً - التقديم والتأخير بين جزأي لجملة 24

أ - تقديم المسند إليه على المسند 24

ب - تقديم المسند على المسند إليه 34

44.....	ثانيا - الأراض البلاغفة لذكر المسند إلفه والمسند
44.....	أ- الأراض البلاغفة لذكر المسند ألفه
47.....	ب- الأراض البلاغفة لذكر المسند
50.....	خاتمة
53.....	قائمة المصادر والمراجع
57.....	ملحق

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة

ملخص:

تعد اللغة العربية من اللغات الإنسانية الراقية لدقة تعبيرها واتساع معانيها ووفرة مفرداتها، فعن طريق اللغة تنتقل الأفكار والانفعالات والرغبات والخواطر، وهذا ما كان يؤدي إلى تحريك عناصرها داخل التركيب اللغوي فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، ولا يكون ذلك لأسباب نحوية تفرضها قواعد اللغة العربية ودوافع بلاغية ذات دلالات فنية جمالية.

واللغة العربية لا تزال محل الاهتمام باعتبارها لغة القرآن الكريم، حيث يعد باب التقديم والتأخير جزء كبير من أجزاء علمي النحو والمعاني، فجاء موضوع البحث موسوماً بجماليات التقديم والتأخير في القرآن الكريم "سورة النساء" أنموذجاً.

ووفقاً لهذه الدراسة اقتضى علينا تفريع بالبحث إلى شقين، شق نظري تناولنا فيه مفهوم التقديم والتأخير ودواعيه إضافة إلى جهود النحويين واللغويين في ظاهرة التقديم والتأخير، وشق تطبيقي تطرقنا فيه إلى مظاهر بالتقديم والتأخير في سورة النساء.

الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير، جهود النحويين واللغويين، تقديم المسند على المسند إليه، دواعي التقديم والتأخير، التقديم والتأخير في سورة النساء.

- الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير؛ المسند، المسند إليه، الحذف، سورة النساء.

Summary:

The Arabic language is one of the high-end human languages due to the accuracy of its expression, the breadth of its meanings, and the abundance of its vocabulary. Arabic and rhetorical motives with artistic and aesthetic connotations.

The Arabic language is still of interest as it is the language of the Noble Qur'an, where the door of presentation and delay is a large part of the parts of the science of grammar and meanings, so the topic of research was marked by the aesthetics of presentation and delay in the Noble Qur'an "Surat An-Nisa" as a model.

According to this study, we had to subdivide the research into two parts, a theoretical part in which we dealt with the concept of submission and delay and its causes, in addition to the efforts of grammarians and linguists in the phenomenon of submission and delay, and an applied part in which we touched on the manifestations of submission and delay in Surat An-Nisa.

Keywords: Presentation and delay, efforts of grammarians and linguists, presenting the predicate on the predicate, reasons for presenting and delaying, presenting and delaying in Surat An-Nisa

- Keywords: presenting and delaying; The predicate, the ascribed to it, the omission, Surat An-Nisa.